— ٤ —

إذا كان هذا شأن الرسائل عند الجاهليين ، فكيف كان شأنها عند الرسول وفي فترة البعثة النبوية ؟ إن ذلك من غير شك يلقي بدوره ضوءاً آخر على الكتابة والرسائل فى الجاهلية ، إذ ليس من المنتظر أن تكون الكتابة فى ذلك العصر شيئاً متقدماً عما كانت عليه فى عصر الرسول ، ولدينا « مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة » يمكن أن نسترشد بها وخاصة ما كان منها فى العهد النبوى لنستطلع أمر الكتابة الفنية فى ذلك العهد حتى تكون الصورة واضحة وتكون بذلك أقرب ماتكون إلى الحق والصواب ، وأبعد ما تكون عن المبالغة والمغالاة وإقحام الأمور فى كل سبيل ممكن أو غير ممكن .

لعل أقدم ماصح من كتابات الرسول كتابه ﷺ بين المهاجرين والأنصار بالمدينة ، وهو الكتاب الذى نظم به الرسول العلاقة بين طوائف المجتمع الجديد بعد الهجرة ، سواء بين المهاجرين والأنصار من ناحية ، أو بينهم وبين اليهود من ناحية أخرى ، ولذلك فقد أقر فى هذا الكتاب أو المعاهدة جميع اليهود على دينهم وأموالهم ، ووضع لذلك الشروط . ويجىء أسلوب هذا الكتاب لذلك أشبه مايكون بلغة العقود التى لا تتحمل فناً أو تفنناً ، وإنما تقصد إلى الأداء وحده وإلى الإفهام ، فليس في قراءتها متعة فنية تذكر . ولذلك تصطبغ بجفاف صيغ القوانين واللوائح والمعاهدات ووضع الشروط أو القيود التى